

كلمة « بديع » كانت تطلق على كل مافيه طرافة وجمال ، ونقول هنا إن ابن المعتز قد خص بهذا الاسم خمسة أنواع من سبعة عشر ، ذكرها في كتابه « البديع » وهي الاستعارة والتجنييس والطباق ، والمذهب الكلامي ورد العجز على الصدر . وسمى ما سواها « محاسن » إلا أنه لم يعلل سر هذا التخصيص ، ولعله رأى فيها نوعا من الحسن لم يره في غيرها ، وهو مع ذلك لم يصير على هذا الاصطلاح ، بل ترك للمعاند - على حد تعبيره - ان يسمى ما شاء من المحاسن بديعا ، ومن البديع محاسنا . أما أبو هلال فإنه لم يفرق بين « البديع » و « المحاسن » فسمى كتابه الذي ألفه في فنون البديع « محاسن النظم والنثر »^(١) ، ثم ذكر في أوله أن هذه الأنواع التي ذكرها هي التي سماها المحدثون « البديع » وأخيرا لم يرتض أحد من النقاد اصطلاح ابن المعتز ، بل شاع في اطلاقهم وعرفهم لفظ « البديع » علما على انواعه جميعا . على قصرها فنونا من الحسن ، واصنافا من البديع ، ثم فيها من الأحكام والمتانة والقوة ماتراه ولكنني ما اظنك تجد له من صورة الطرب ، وارتياح النفس ، ما تجده لقول بعض الأعراب :

أقول لصاحبي والعين تهوى	بنايين المنيفة فانصهار
تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد	وريا روضه غب القطار
وعيشك اذ يحل القوم نجدا	وأنت على زمانك غير زارى
شهور ينقضين وما شعرنا	بأنصاف هن ولا سرار
فاما ليلهن فخير ليل	وأقصر مايكون من النهار

فهو كما تراه بعيد عن الصنعة ، فارغ الألفاظ ، سهل المأخذ ، قريب التناول ، وكانت العرب انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، ومدد فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله ، وشوارد ابياته . ولم تكن تعباً بالتجنييس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة ، اذا ما حمل لها عمود الشعر ، ونظام

(١) هذا الكتاب هو المطبوع الآن في كتاب الصناعتين تحت عنوان « الباب التاسع في شرح أنواع البديع ص ٢٠٤ .